الرسالة

(٢ تيموثاوس ٤: ٥–٨)

يا ولدي تيوثاوسَ تيقَّظ في كل شيءٍ واحتمِل المشقَّاتِ واعمَلْ عَمَلَ المبشِّر وأَوفِ خدمَتَكَ* أما أنا فقد أُريقَ السَّكيبُ عليَّ ووقتُ انحلالي قد اقترب* وقد جاهدتُ الجِهادَ الحسَنَ وأَتمَمتُ شَوْطي وحفَظتُ الإيمان* وإنَّما يبقى محفوظاً لي إكليلُ العدلِ الذي يَجزيني به في ذلك اليوم الربُّ الديَّانُ العادل لا إيَّاي فقط بل جميعَ الذينَ يُحبُّون ظهورَهُ أيضاً.

الإنجيل

(مرقس ١: ١–٨)

بدءُ إنجيلِ يسوعَ المسيح ابنِ الله. كما هو مكتوبٌ في الأنبياءِ: هاءَنذا مُرسِلٌ ملاكي أمام وجهِك يُهيّءُ طريقَك قدَّامك* صوتُ صارخٍ في البريَّة أعدُّوا طريقَ الربّ واجعَلوا سُبلَه قويمةً* كان يوحنا يعمِّد في البريَّةِ ويكرِز بمعموديةِ

رموز مياه المعمودية في العهد القديم

قال الرب يسوع لنيقوديموس الذي كان رئيساً لليهود: «الحق الحق أقول لك: إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله» (يو ٣: ٥). هذا الكلام يشير الى المعمودية. الروح القدس هو الذي يلدنا في المسيح في مياه المعمودية.

نحن نلاحظ في المعمودية أن بعض الأهل، والأمهات بشكل خاص، يخافون من تغطيس الولد في المياه. هذا الخوف يرتبط في مكان ما بمعنى المعمودية. في المياه يموت الإنسان القديم الذي هو على صورة آدم، والصعود من المياه هو قيامة للإنسان الجديد الذي هو على صورة ابن الله، آدم الجديد: «أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فدفنا معه بالمعمودية للموت، حتى كما أقيم المسيح من الاموات، بمجد الآب، هكذا نسلك نحن أيضا في جدة الحياة» (رو ٦: ٣–٤). إن بروز الحياة من مياه الموت موثّق في أمثلة كثيرة من العهد القديم.

يظهر من كتابات العهد القديم أن النزول تحت المياه هو خبرة متّصلة بالموت، بمثابة لقاء قريب جداً مع الموت. هذه الصورة تتوضح في صلاة يونان النبي من جوف الحوت حيث يتماهى «جوف الهاوية» (يونان ٢: ٢) مع «قلب البحار» (يونان ٢: ٣). ثم يأتي حديثه عن خبرته في عمق البحار: «نزلت الى أسافل الجبال، مغاليق الأرض علىَّ الى الأبد، ثم أصعدتَ من الوهدة حياتي أيها الرب إلهي» (يونان ٢: ٦)، كإشارة إلى القيامة إذ إن كلمة «الوهدة» تشير الى الموت وكلمة «أصعدتَ» تشير الى القيامة. إن ما يلفت إنتباهنا في هذه المقاربة هو عدم قدرة يونان النبي على إتمام ما طلبه منه الرب قبل خبرة النزول الى الموت في المياه، بينما بادر مباشرة بعد صعوده من المياه الى تنفيذ مشيئة الرب. هذا ما يجعلنا نميّز بين يونان الذي كان قبل خبرة «المعمودية» هذه ويونان الذي بعدها، فهو كان غير طائع وخائف لكنه اكتسب شجاعة في بطن الحوت وأصبح مطيعاً.

مثال آخر مشابه لقصة يونان النبي هو عبور الشعب العبراني للبحر الأحمر في سفر الخروج. في هذه الحادثة عبر العبرانيون البحر الأحمر بعدما شقّه موسى بعصاه، فانفلقت المياه وعَبَرَ

العدد ٢٠١٦/١

الأحد ٣ كانون الثاني

الأحد قبل الظهور الإلهي

تذكار النبي ملاخيا

والشهيد غرديوس

اللحن السادس

إنجيل السَحَر التاسع

بينما المصريون الذين كانوا يتبعونهم غرقوا في البحر عندما غمرتهم المياه بعد عبور الشعب العبراني. هذه الحادثة في عمق البحر الذي صعد منه الشعب دون أن يغرق، حوّلت الشعب العبراني من شعب خاضع للعبودية في مصر الى شعب حرّ يبحث عن أرض الميعاد. إن عبور البحر الأحمر رسم خطاً بين حالتَين: السابقة هي العبودية واللاحقة هي الحرية، لذلك شبّهها بولس الرسول بالمعمودية: «وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر» (١ كو ١٠: ٢). نحن بدورنا في المعمودية نُعتق من عبودية الخطيئة لنكتسب حرية أبناء الله. إن المياه في حادثة العبور كانت إذاً رمزاً للموت، والصعود منها رمزاً للحياة: «انتصبت المجاري كرابية، تجمدت اللجج في قلب البحر. قال العدو أتبعُ، أدركُ، أقسمُ غنيمة، تمتلئُ منهم نفسي، أجرّدُ سيفي، تفنيهم يدي. نفختَ بريحك فغطاهم البحر.غاصوا كالرصاص في مياه غامرة» (خر ١٥: ٨–١٠).

في هذا السياق نتذكّر أيضاً الطوفان الذي حصل في أيام نوح. إن العناصر في هذه الحادثة ترتبط كثيراً بقصة العبور وبقصة يونان النبي. بواسطة المياه تفنى البشرية القديمة بينما تطفو على وجه المياه البشرية الجديدة حيّةً. «وتعاظمت المياه كثيراً جداً على الأرض»، «فمات كل ذي جسد كان يدب على الأرض»، «وتبقَّى نوحٌ والذين معه في الفلك فقط» (تك ٧: ١٩، ٢١، ٢٣). هذا الطوفان كان رمزاً لغسل الخطيئة ولولادة حياة جديدة، ولذلك يشبّهه بطرس الرسول بالمعمودية في حديثه عن موت المسيح وكرازته للأرواح التي كانت في السجن، والتي «إذ عصت قديماً حين كانت أناة الله تنتظر مرّة في أيام نوح، إذ كان الفُلك يُبنى، الذي فيه خلص قليلون أي ثماني أنفس بالماء، الذي مثاله يخلّصنا نحن الآن أي المعمودية، لا إزالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح» (١ بط ٣: ٢٠–٢١).

ختاماً نعود الى البدء، الى سفر التكوين حيث نرى أن الحياة منذ البدء خرجت من المياه، فظهرت الأرض والأعشاب والبقول والأشجار، وكل ذلك كان تهيئة لخلق الإنسان الذي سيُجبل من التراب: «وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء الى مكان واحد ولتظهر اليابسة، وكان كذلك. ودعا الله اليابسة أرضاً، ومجتمع المياه دعاه بحاراً، ورأى الله ذلك أنه حسن. وقال الله لتنبت الأرض عشباً وبقلاً يبزر بزراً وشجراً ذا ثمر يعمل ثمراً كجنسه بزره فيه علَى الارض، وكان كذلك، فأخرجت الأرض عشباً وبقلاً يبزر بزراً كجنسه وشجراً يعمل ثمراً بزره فيه كجنسه، ورأى الله ذلك أنه حسن. وكان مساءٌ وكان صباحٌ يوماً ثالثاً» (تك ١: ٩–١٣). لقد كانت المياه منذ البدء مصدراً للحياة الجديدة التي تخرج منها، ولذلك بقيت المياه ضرورية في المعمودية لتمنح المعتمدين فيها حياةً جديدةً فيغدون كحبة الحنطة التي «إن لم تقع في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها، ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير» (يو ١٢: ٢٤).

الصلاة

ترفع الكنيسة الأرثوذكسيّة الصلاة من أجل المؤمنين ومن أجل العالم أجمع. في صلاتها تحمل الكنيسة المؤمنين الذين هم على قيد الحياة والراقدين على الإيمان وعلى التوبةِ لغفران الخطايا* وكان يخرج إليه جميع أهلِ بلد اليهودية وأورشليمَ فيعتمدون جميعُهم منه في نهرِ الأردن معترفين بخطاياهم* وكان يوحنا يلبَس وَبَرَ الإبلِ وعلى حَقَويهِ مِنطقةٌ من جلدٍ ويأكلُ جراداً وعسلاً برّياً* وكان يكرزُ قائلاً إنَّه يأتي بعدي من هو أقوى مني وأنا لا أستحقُّ أن أنحنيَ وأحلَّ سَيْرَ حِذائهِ* أنا عمَّدتُكم بالماءِ وأمَّا هو فيُعمِّدكم بالروح القدس.

تأمل

«أنا أعمدكم بماء للتوبة. ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني الذي لستُ أهلاً أن أحلّ سيور حذاءه. هو سيعمدكم بالروح القدس ونار» (متى ٣: ١١، مر ١: ٧–٨).

... بعد أن أقلق يوحنا سامعيه عن طريق الخوف من الدينونة وتوقّع العقاب وذلك بذكر الفأس، بالسقوط من الكرامة الأبوية، بدخول أبناء آخرين عوضاً عنهم، بالعقاب المزدوج: القطع والنار (متى ٣: ٧–١٠)، بعد ان لطّف من كل جانب قساوتهم وأدخل فيهم الرغبة من التحرّر من كل

هـذه الشدائد، عـندئـذٍ بدأ الكلام عن المسيح لا كعن شـخـص عــادي بـل مـؤكداً عـلـى تـفـوّقـه. لـذلك يـحدّد المسافة التي تفصله عنه. وحتى لا يعتقدوا ان كلامه مجرّد مديح يـعـود ويـتـابـع مــقــارنــاً خصــائـص كـل واحد. لم يـقـل مـبـاشـرة: «لست مستحقاً أن أحلّ سير حذائه» تكلم أولاً عن قلّة أهمية معموديته وأكّد لهم انه ليس عنده أن يقدّم لهم أكثر مــن إرشــادهــم إلى الـتـوبـة. لأنـه لم يـقـل «مـاء الغفران» بل «التوبة». بعد ذلك يقدّم معمودية المسيح الذي هو مشبع بعطايا لا توصف: حتى لا تسمعوا انه يــأتــي بــعـدي وتـزدروه، اعـلـمـوا مـن الآن. حـيـنـئـذٍ تدركون انني لم أقل شيئاً يستحـقـه. لم أبـالـغ عندما قلت: «لست أهلاً أن أنحني وأحل سيور حذائه» (مر ١: ٨).

عـنـدمـا تسمعون أنه أقوى مني، لا تعتقدوا أني أقــارنــه مــع نـفـسـي. لست مستحقاً أن أحسب من بين عـبـيده ولا مـن بين أحـقـر عبيده. ولا أن أقوم بـأدنى عـمـل مـن أعـمـالـه. لذلك لم يـقـل «حذاءه» بـل «سـيـور حذائـه» الـعـمـل الـذي يراه كـأدنـى الأعـمـال. ولـكي لا تـعـتـقدوا أن مـا قـيـل يـأتي بدافــع الـتـواضــع، يـقـدّم رجـاء الحيـاة الأبديّـة. لا تـفـصـل الكنيسة بين الأحياء والراقدين إذ ان الموت لا يــفـصـل بين الأحــيــاء والأموات: «ليس الله إله أموات بل إله أحياء» (متى ٢٢: ٣٢). المؤمن الــراقد لا يصــبــح خــارج إيمان الكنيسة وحياتها بل يبقى شريكاً في هذه الحياة. هذا ما عناه الرسول بولس حين طلب أن نصلّي قـائـلًا «فـأطـلـب أول كـل شـيء أن تـقـام طـلـبـاتٌ وصـلـوات وابـتـهـالات وتشكـرات لأجـل جـمـيـع الـنـاس» (١تيم ٢: ١). دعوة الرسول بولس هي ألاّ تكون الصلاة دوماً شخصيّةً لئلاّ تبلغ درجةً من الأنانيّة. إنّها دعوةٌ أن يصلّي المؤمنون بعضهم لبعض.

هذا مـا يحصل في حياة الكنيسة الـيـوم إذا مـا أصـغـيـنـا بـانـتباهٍ إلى الخدم الكنسيّة وهو ما يتجلّى في الـتـقـالـيد الإجـتـمـاعـيّـة عبر تقدمة الــقــرابين حـيـث يُـرفـق المؤمـنـون أسـمـاء الأحـيـاء والأموات ليذكرهم الكاهن على المذبح المقدّس.

الموضوع الأوّل الذي يستغربه غير المؤمنين هو الصلاة من أجل الــراقديــن. يــعـتـبر الــبـعض الموت نـهـايـةً تـنـتـفـي بـعدها الحاجة إلى الصلاة ويتوقّف أيّ تأثير للصلاة عــلــى روح وجسد الـراقد، لأنــهــم يعتبرون ان الموت نهاية لكل شيء. لكن المؤمن موقنٌ أنّ المــوت ليس سوى انـتـقـالٌ مـن هـذه الحيـاة إلى الحياة الأبديّة. مذ قام المسيح من بين الأمـــوات وصـــار بـــاكـــورة الـراقديـن، أعـطـانـا الحيـاة الأبديّـة فاتحاً لنا أبواب الفردوس. بقيامة المسيح أدرك العالم أنّ الموت ليس النهاية بل هو عبورٌ. مقاربة الموت مـن مـنـظـار قـيـامـة المسيـح يـؤكد الشـركـة بين الأحـيـاء والأمـوات إذ كسر المسيـح حـاجـز الموت وحـوّله رقـاداً. هـذه الـعـلاقـة شـابَـهـا بعض الأفكار الخاطئة والبدع فـــي كثير مـن الأحـيـان عبر الـتـاريـخ الكنسي وقضيّـة المطـهـر شكلّت واحدةً من أخــطــرهــا. في الحديث عـن الموت والصـلاة لـلـراقدين لا بدّ أن نـقدّم لمحةً عـن المطـهـر. يـظـن الـبـعـض خــطــأً أنّ الإنسـان يمـرّ بمراحــل يـنـال فـيـهـا عـقـابـاتٍ عمّا فعله في هــذا الدهـر. هـذا الإعـتـقـاد يُـبطل مفعول ولزوم رفع الصلاة من أجل الـراقدين مـا يـفـرض انـقـطـاعاً بين الأحــيــاء والــراقديــن، كـمـا يُـدخـل الـعـديد مـن المغـالـطـات الـتـي لـن نغوص في تفنيدها. ما يهمّنا هو هـذا الـربـاط الـوثـيـق الـذي يـجـمـع الأحــيــاء والأمـوات، ربـاط الصـلاة والــتـضـرّع الـذي عـلّـمـنـا الآبـاء الـقـدّيسـون أهـمـيّـتـه إذ إنّ «طـلـبـة الــبــار تـقـتدر كثيراً أن تسـتـعـطـف السيّد».

إلى جـانب الصـلاة مـن أجل الراقدين ترفع الكنيسة الصلاة من أجل الأحيـاء المؤمـنين. فـالشمـاس والـكـاهـن يـرفـعـان طلباتٍ من أجل المؤمــنين والمدن والأديـار إضـافـةً إلى كلّ من حضر إلى الكنيسة ومن غاب عنها لسببٍ حميد. هنا نبلغ إلى التساؤل الثاني الذي غالباً ما يُطرح وهـو حـول كـيـفـيّـة رفع الصلاة من أجل الآخرين. فإضافةً إلى الطلبات العامة التي يرفعها الإكليروس في الــطــلـبـة السـلامـيـة الـكـبرى، يـقدّم المؤمــنــون قـرابين مـع لائـحـة مـن الأسـمـاء وهـي عـادةٌ مـتـوارثـة في الكنيسة. تأتي القرابين كتقدمةٍ كما جاء في أكثر من موضع في الكتاب المقدّس. هذه التقدمة تقدّم إلى الله وقد توارثنا هذه العادات منذ عهد الرسل حين كان كلّ شيئٍ مشتركاً بـيـنـهـم. يـأخـذ الـكـاهـن أجـزاء مـن القربان المقدّم عند ذكر كلّ اسم من الأسـمـاء ويـضـع هـذه الأجـزاء في الصينيّة المقدّسة، الأحياء من جهة

والراقدين من جهةٍ أخرى. قد يرغب أحد المؤمنين أن يذكر أناساً دون أن يقدّم قرابين فيأخذ الكاهن من القرابين الموجودة على المذبح إذ المسألة ليست مرتبطة جوهريّاً ولا رمزيّاً بالتقدمة رغم بُعد الشركة الذي يحمله فعل التقدمة. إلّا أنّ المشكلة تكمن عند إرسال أحدهم أسماء للكاهن لذكرها دون أن يأتي إلى الكنيسة. الكاهن هنا بمحبّته وعطفه سوف يذكر هذه الأسماء ولكن أجدر بذلك المؤمن إن أراد الصلاة من أجل أحدهم أن يأتي إلى الكنيسة ويصلّي لنفسه أوّلاً. البديهي في هذا المجال هو أن نذهب إلى الكنيسة لا أن نرسل أوراقاً كمن يرسل رسالةً بريديّة. كما يأتي أشخاصٌ طالبين أن تذكر الأسماء خلال الدورة الكبرى علناً وبعضهم يذكر اسم العائلة إضافةً إلى الإسم. المسألة ليست إعلاناً تلفزيونيّاً إنّما صلاة، والصلاة تتمّ بتواضعٍ وخفر. روحيّة الكتاب التي نستشفّها من خلال الأمثال، خاصّةً مَثَل الفريسي والعشّار، أن نرفع الصلاة ونقوم بالأصوام بخفر دون تباهٍ ودون الحاجة إلى أن يرى الناس أفعالنا. أليس الهدف هو رفع الصلاة من أجل من نحبّ، أحياء وراقدين؟ ذلك يتمّ داخل الهيكل وبصمتٍ دون تباهٍ. أمّا إذا كان الهدف هو التباهي والمزايدة في ذكر هذه الأسماء حينها يكن أن نطلب من الكاهن أكثر ممّا يمكن أن تبتكره مخيّلتنا.

الكنيسة مكانٌ للصلاة حيث يدخل المؤمن مطأطأ الرأس عارفاً ذنوبه ليشترك في جسد المسيح ودمه. مفتاح ذلك هو أن نفتح قلوبنا للصلاة بمحبّةٍ وتواضعٍ طالبين الرحمة للأحياء والأموات على حدٍّ سواء لنتذوّق مسبقاً غذاء الدهر الآتي.

مدرسة التنشئة اللاهوتية

ببركة سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس الجزيل الإحترام نظمت لجنة قدامى مدرسة القديس كوارتس الرسول للتنشئة اللاهوتية خلوة روحية لقدامى المدرسة وطلابها الحاليين ولطلاب مدرسة القديس رومانوس للموسيقى الكنسيّة وذلك يوم السبت ١٩ كانون الأول ٢٠١٥ في دير رقاد السيدة ـ بكفتين. افتتحت الخلوة بقداس إلهي ثم استمع المشاركون إلى محاضرتين: الأولى حول كيفية تحقيق حضور المسيح الحي فينا من خلال الحياة الأسرارية في الكنيسة، والثانية كيف حوّل تجسّد ابن الله حياتنا وغيّر مسلكنا في هذا العالم. واختُتمت الخلوة بصلاة الغروب.

عيد الظهور الإلهي

في مناسبة عيد الظهور الإلهي يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة القداس الإلهي عند العاشرة من صباح الأربعاء ٦ كانون الثاني ٢٠١٦ في كاتدرائية القديس جاورجيوس.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

برهاناً عملياً آخر ويقول: «هو سيعمّدكم بالروح القدس والنار».

لاحظوا حكمة المعمدان. عندما يكرز هو، يشير إلى ما هو ظاهر ويتطلّب جهاداً. أمّا عندما يكرز عن آخر يذكر الخيرات وكل ما يمكن أن يقوّي نفسهم. لا يذكر هنا الفأس ولا الشجرة التي تُقطع وتُلقى في النار لتحترق ولا الغضب الآتي. يتكلّم هنا عن مغفرة الخطايا، عن محو العقاب، عن العدل، عن التقديس، عن الخلاص، عن التبنّي، عن الاخوّة، من أجل الاشتراك بالميراث وبعطية الروح القدس السخية. كل ذلك ندركه عندما قال: «سيعمّدكم بالروح القدس» (مر ١: ٨، متى ٣: ١١) جاعلًا غزارة النعمة واضحة باستخدام رمزي للكلمة. لأنه لم يقل «سيعطيكم الروح القدس» بل قال «سيعمّدكم بالروح القدس» أي (يغطّسكم). وبإضافة «النار» يشير إلى قوّة النعمة الدافقة الفيّاضة.

القديس يوحنا الذهبي الفم